

هيا قاموس السمك والاوز واهم الطير وغبات القصب وخيلة السومريين وال ازيرج والبومحمد ومرتم الجاموس وجنته ومنبع الاساطير المتجددة ، هل أحدثك عن سيد سروط ؟

الأهوار سيادة الأساطير

ام عن كنز حفيظ ام عن عبد الشط ام عن الطنظل وزوجته ؟

الاهوار... السيدة التي خاصمها الأمويون والعباسيون قبل صدام حسين وحاولوا تجفيفها تارة بعذر تحويلها الى اراض زراعية لزيادة الخراج واخرى لمنع (الزنج) الثائرين من الاحتماء بها حتى قال احد الشعراء في وصف معاناتها

فكانما الهور الطوفوف واهله

وكانما ابن معية ابن زياد

وابن معية هو احد وزراء الخلفاء العباسيين وهو الذي سعى الى تجفيف الاهوار. والسبب الحقيقي لسعي الاموي والعباسي لتجفيفها، هو انها رقعة سياسية معادية، فقد نشطت فيها مجاميع المعارضة وتمكنت من غرس افكارها في محل زواياها.

فمن اي ثغر نقتحم مملكة هذه السيدة، انحدر مع الغراف حتى (لكش) في الناصرية ومنها الى الكرمة فاطراف هور الحمار ومن ثم التوغل فيه حتى الجبايش، ام الاندفاع جنوبا الى هور الحويزة جنوب قضاء الكحلاء في محافظة العمارة، ام الصعود الى الصحين من جهة ناحية العدل في قضاء المجر الكبير؟

خيار الصحين كان هو الخيار الذي فرض نفسه علينا، فهي المنطقة الأكثر أملاء هذه الايام بالماء والسمك والطير والقصب والعائدين وقد كانت الأكثر تضرراً أيام النظام البائد.

فها مضيف سيد سروط

وعلى هدى الماء تأخذنا (الشختورة) ويأخذ مرافقتنا (المشحوف) حتى مضيف "السيد سروط" في الصحين ، ويرغم ضحالة المياه في بعض الاماكن يصطاد العائدون اسماك البني والشبوط والكطان والشلك ودكاك الصخر والحمري وانواعاً اخرى من السمك بالفالة والشباك و"الزهر" وحين تساءلت عن (الزهر) قيل لي انه تركيبة كيميائية لا تضر بيئية الاهوار ، وهي تجعل الاسماك تطفح على سطح الماء بعد تناولها العبوة، ولم اسمع رأيا لخبير في البيئة بشأن هذا الموضوع فطبيعة هذه التركيبة مازالت مجهولة.

وهنا عليك ان ترفع يدك بالتحية لمن يسافر ضد التيار ذلك انك اقل تعباً منه، وهو العرف السائد هنا.

وفي مضاييف السيد سروط والسادة آل البطاط في الصحين حكى لنا العائدون معاناتهم من النظام السابق ومشكلاتهم الحالية وفي مقدمتها عدم توفر مياه الشرب وروى لنا بعضهم اسطورة السيد سروط، فحين ولدته امه لم يرق لها شكله فابتلعتها (سرطته) على حد تعبيرهم ثم ولدته من جديد قسراً وحارسا عراقيا لا مثيل له، وحين سألت عن معنى (الحارس) قيل لي ان سيد سروط كان يحرس المنطقة من "الجن" ومن كوارث الطبيعة.

٢٦٠ نوعاً من الطيور

وهنا ملايين الطيور تسكن المحيط المائي في المثلث الذي تمر زواياه بالبصرة والناصرية والعمارة، ويؤكد الدكتور خزعل احمد الطبيب البيطري والباحث المتخصص بشؤون الاحياء المائية في محافظة العمارة ان عدد الطيور تناقص كثيراً بعد تجفيف الاهوار، ومع ذلك بقي في المنطقة ما يقرب من ٢٦٠ نوعاً قسم كبير منها من الحيوانات البرمائية، ومع عودة المياه بدأت انواع الطيور تعود الى مواطنها القديمة في هذه المساحة المائية بالغة السعة.

ويؤكد الدكتور خزعل الطائر الثرثار المكان الوحيد لطائر القصب المخرد، وبمناسبة ذكر القصب زودني الزميل حسين محمد عجيل بمعلومة تقول ان بذور وجذور القصب تتمر ثلاثمئة سنة فيا لبؤس صدام حسين وتوهمه انه قضى على قصب سومر، فيمجرد ان عاد بعض الماء الى مملكة الاهوار نبت القصب من جديد.

ويذكر الدكتور خزعل الطائر الثرثار والبش والخضيري والطيور المهاجرة كالأوز والبعج العراقي ومضيفه روسيا ومنشاته ومولده العراق حين تم تجفيف الاهوار مضى الى مستنقعات البحرين لكنه عاد الآن الى غابات القصب وبني اعشاشه من جديد استعدادا لموسم التفرخ، وعادت ايضا اسراب اللضائق والنورس والعنادل وطيور الزاغ والحذاف وبت الشبخ والرخيوي والزبيطة والزرزور كما ان الاهوار العراقية تعد الاولى من خمس مناطق في العالم تسكنها عدة انواع من الطائر الخوص wades bird

ويؤكد المطلاعون ان هناك اكثر من ٦٠ نوعاً من الطيور مهددة بالانقراض ويرصد العلماء ٤٩ مستوطنة للطيور في العراق من الشمال الى الجنوب اغلبها في منطقة الاهوار والان وقد عادت مجاميع كبيرة من السكان الى مواقعها القديمة، يشعر العائدون بانهم مازالوا مهددين من بقايا النظام السابق الذين افادوا من عملية تجفيف الاهوار وكونوا مزارعهم الخاصة مستفيدين من شبكة ارواء (الأنور الثالث)، وهم غير مضمينين الى السكان على الرحيل وتغيير طبيعة

العديد من مناطق الهور التي تعرضت كما يقولون الى "الصف بالكيميائي". والعائدون انتظروا طويلا لينبت القصب لاعمار بيوتهم و "شبات" مضاييفهم. وكم كان الامر جميلا لو ان الحكومة العراقية انتبهت لهؤلاء العائدين فاقترضتهم يمكنهم من شراء اعداد من الجاموس وتشجيعهم على استكثارها وانشاء معامل لإنتاج المشتقات اللبنية والادجبان بالاشتراك مع الرأسمال الخاص واستعادة وتيرة حياتهم السابقة وتطويرها .

ووضع مشروع (اهوار لاند) موضع التنفيذ لاستقطاب الوافدين من شتى انحاء العالم وتشجيع الرأسمال الاجنبي على الاستثمار في هذه المنطقة والافادة من الخبرة الأجنبية في هذا المجال و (اهوار لاند) يمكن ان تضم فنادق ومنجعات خاصة ومستوطنات صيد ومطارات وما ذلك يصعب على العراقيين بخاصة ان المساحة الحقيقية للاهوار ومستطحاتها المائية تتجاوز (٢٢) الف كيلو متر مربع ولا يعني انخفاض هذا الرقم قبيل التجفيف الى حدود ٨٧٧ كيلو مترا ثم التجفيف الكامل موت الاهوار وبيئتها وطبيعتها ، فيمجرد ان عاد الماء عادت بيوت القصب وتنقص السمك والطير مستعدين شيئا فشيئا حياتهم القديمة، ومع ذلك تبقى قلة المياه الواردة من تركيا في دجلة ومن سوريا في الفرات تشكل عقبة مؤثرة في استعادة الاهوار عافيتها الكاملة ، فثمة مشروع اعالى الفرات ومشروع الغاب التركي وسد طبقة وبحيرة الاسد وقيام ايران ببناء سد على نهر الكرخة لارواء نحو ١٦٢ الف هكتار في الاراضي الزراعية في الاحواز وتجهيز الكويث بالمياه العذبة وقيامها بتجفيف مساحات واسعة من هور الحويزة الذي يغذيه نهر الكرخة .

ومع ذلك فان البد الطولى والفاعلة في خلق الاهوار كانت يد صدام حسين بخاصة حين شق تلك الانهيار الاصطناعية ومنها النهر الثالث ونهر العز ونهر ام المعارك ورش المسطحات المائية وغابات القصب بالمبيدات.

واعلنت الامم المتحدة عام ٢٠٠١ في تقرير اعده متخصصون بالبيئة ان ما يشكل ٧٪ من مساحة الاهوار العراقية فقط صالح لاستعادة عافيته وعودة السكان اليها

ووصف التقرير ما فعله النظام بالاهوار

بانه من أسوأ الكوارث البيئية، فقد فرت

مستوطنات الطيور وجفت المستنقعات

التي كانت تستوطنها انواع الاسماك التي

كانت مصدرا لغذاء وعيش نصف مليون

عراقي في الألف وأبيد القصب المادة

الأساس لبناء بيوت السكن واجبر

السكان على الرحيل وتغيير طبيعة

عملهم، وتشققت الأرض من بعدهم وغطاه الملح، حتى لم يعد في الامكان تخيل عودتها الى طبيعتها الأولى فالطبقة المحية وصل سمكها الى قدم واحدة .

مرافقي سعد الميساني قال لي: كان ضباط الحرس الجمهوري يشنون هجماتهم ومداهماتهم على التجمعات السكانية التي ظلت متمسكة بمواقفها برغم حرمانها مصادر رزقها فقد أرسلوا أولاهم للعمل في المدن وتشبثوا بمواقعهم، وكانوا يسلبونهم اسبط ما ما يمتلكون وربما اعتقالهم لتهم لا أساس لها من الصحة، كانوا أسودا على ابناء جلدتهم، لكنهم حين وصل الأميركيان فروا عراة حفاة وتعال اريك بقايا مسكرهم الغريق.

قادني سعد با(الطردة) وهي نوع خفيف من الزوارق ليس بعيدا عن مضيف السيد سروط لأشدهم بقايا جدران المعسكر الخريقة وسيطانة مدفع غريق رفعت راسها ليعتليه لقلق ساخر وضع قدماً ورفع الأخرى في مشهد لا يمكن ان يتكرر يسجل برمزية بالغة التعبير عن مصير الحرس الجمهوري والنظام السابق كله.

وعلى ضفاف الهور الذي عاد سكانه ويتذوقون السمك و"دجاج المي" والحذاف والبش والخضيري والبط، عادت صناعة الزوارق.

ومصدر في وزارة الموارد المائية تقول ان نسبة غمر مساحة الاهوار بالماء وصلت الى ٦٠٪ ونحن نرى انها نسبة مبالغ بها حملة اعناش الاهوار ومعالجة بيئتها عبر اجراء الضحوصات المختبرية للتربة والماء والهواء.

وتقول وزارة البلديات والاشغال على لسان وكيلها السيد كامل الجادري انها بذلت جهدها لانعاش الاهوار واعدت دراسة بشأن عودة المهجرين الى بيئتهم الطبيعية وتذكر هذه الدراسة ان عدد المهجرين من اهوار ناحية الفهود والحمار الجبايش بلغ ٦٥٠ الف مواطن ويقول مكتب الاعلام في وزارة البلديات ان الوزارة وضعت ضمن خططها انشاء شبكات المياه الصالحة للشرب ومد خطوط الكهرباء والخدمات البريدية وخدمات المياه



*عناد الماء وعادات مملكة القصب والسمك والطيور.. ولكن!

*بذور القصب تعمرون نحو ثلاثة قرون

*العائدون الحامكة الماء متحا تنتهي مشكلاتهم؟

عملهم، وتشققت الأرض من بعدهم

اما مستشار المعهد العراقي لشؤون البيئة في واشنطن د. عزام علوش فيقول ان المعهد قدم دراسة لاستخدام الغاز التوهج من حقول النفط الجنوبية لانشاء محطات لمعالجة مياه الاهوار.

ويقول مدير التخطيط والتنمية في وزارة الموارد المائية الأستاذ سالار بكر ان الاوضاع الان مشجعة على عودة العوائل الى البيئة التي غادرتها قبل ١٥ عاما ويؤكد ان ١٩ الف عائلة عادت الى اهوار الناصرية حتى الان ويقول الدكتور علي حنوش وكيل وزارة البيئة.

ان عودة هذه الاعداد الى بيئتها الاصلية تعكس الحنين للعودة الى الارض المنطلق وسقط الرأس، لكن هذه العودة غير المنظمة التي لا تسندها عمليات توفير مقومات الحياة الطبيعية قد تؤدي الى نتائج عكسية وعقابيل مؤذية لعملية العودة.

وثمة اشكال حضري، فالذين هجروا قسراً من الاهوار اجربروا على ممارسة مهن اخرى اعتادوها واعتادها ابناءؤهم ويجدون الان صعوبة في العودة الى ما تتطلبه بيئة الاهوار مسكنهم وموطنهم الاساس ان الدولة على هذه الخلفية مطالبة باعادة تأهيل سكان الاهوار للعيش فيها من جديد.

ومن المؤكد ان عودة سكان الاهوار الى حقولهم الجغرافية القديمة وتغليب حياتهم ومعيشتهم سابقا أمر مرغوب فيه اذا لم نقل انه امر ملزم وهو في الحقيقة تصحيح لخطأ بيئي وسياسي واجتماعي واقتصادي، لكنه يستلزم وقتا اطول مما نظن لاعادة الامور الى نصابها.

البارونة نكلسن والطفل عمار

وحكاية الطفل عمار هي احدى الروايات الفزعة التي راقت المئات من اطفال الاهوار الذين تعرضوا لتشوهات جسدية جراء الهجمات العسكرية للحرس الجمهوري على قراهم ومجمعاتهم السكنية بالطائرات والمدفعية وقنابل النابالم الحارقة والقنابل الفوسفورية وكان عمار طفلا بانسا اجبر على الفرار تحت اجواء الرعب والهلع مع عشرات الالوف من النساء والشيوخ والاطفال سكان الاهوار وكانت البارونة نكلسن موجودة فبادرت الى وضعه تحت جناحها وأسست مؤسسة "عمار" ثم تبنته ونقلته في ظروف صعبة من جنوبي العراق الى ايران ثم الى بريطانيا، وأشارت الى عمق المأساة في كتابها (نادا نسي الغربة)

ويتضمن الكتاب مجموعة دراسات بخصوص مشكلات المحيط البيئي والإنساني للاهوار والحلول المقترحة لها وعرض لشهادات عدد من النخبين ويعرض الفصل الاول دراسة احصائية

إصلاح مؤسسات

التفكير العراقي

علي المالكيا

هل يحتاج العراقيون الى

مؤسسات للتفكير؟ الا يفكر

العراقيون؟

او ليست فكرة ان العراقيين

بحاجة للعناية بـ (التفكير)

انتقاصاً لشعب يفخر بكونه من

الشعوب الرائدة في تأسيس

الحضارات ؟، الم يصنع

العراقيون أولى التشريعات

القانونية. وابتكروا الكتابة

ومارسوا هندسة الري؟

ان العائلة والمدرسة والجامع

والمكتبة ووزارة الثقافة ومركز

البحوث ومؤسسات المجتمع

المدني، كلها مؤسسات تفكير،

ينخرط فيها الإنسان منذ يومه

الأول في الوجود، يتفاعل مؤثراً

ومتأثراً، فيكتسب أسلوبه،

طريقته في التفكير، ومن ثم في

السلوك ، واهم ما تعنى به

الدولة العصرية هي مؤسسات

التفكير فيها، أي مؤسسات

التربية والتعليم في المحل

الأول، لانها المتخصصة بصناعة

الإنسان العصري، الإنسان الذي

يملك رؤية فاعلة للعالم قادرة

على ملاحظة التنوع والتعدد

في مكونات العالم. الإنسان

الذي يفكر بمرونة وطلاقة ،

وعلمية، وموضوعية ويرى

الاشياء بحجمها كما هي،

ويدرك ان حريته تعني فهمه

للضرورات الحياتية، والتزامه

ازاء الآخرين ممن يعيشون معه

في ذات السياق التاريخي .

ومن تكررات القول ان صلاح

مؤسسات التفكير ينعكس

ايجاباً على صلاح الأفراد، ومن

ثم المجتمع، وخلق المواطنة

الصالحة واشاعة مبادئها في

نفوس الأفراد لا يكون الا

بمؤسسات تفكير قادرة على

تبديل اساليب وطرق تفكير

الأفراد، على نحو يعملون فيه

الى قيم جديدة مثل المواطنة

الصالحة والعدل والمساواة

واحترام حقوق الغير ومحبة

الناس والعكس صحيح أي ان

فساد المؤسسات تلك يقضي الى

فساد الأفراد، وستكون مصدرا

من مصادر الشرور الاجتماعية

والتخلف .

وتشير المعلومات الى ان أرقى

مؤسسات التفكير يمكن ان

نجدها في الدول ذات الأنظمة

الديمقراطية، وهي علامة

مميزة لها إذ لم تستقم جادة

تلك الدول الا بواسطة إنسانها

القادر على تمثيل قيم ومفاهيم

الديمقراطية، وبلغ الامر من

عناية تلك الدول بالتفكير

وصناعة الإنسان الناجح. حد

إنشاء مراكز للتدريب على

التفكير، متخصصة فيه بحثاً

ودراسة ويرمج تدريبية، أي

الانتقال من المستوى التقليدي

للمؤسسات التعليم والتربية الى

مستوى متقدم في مجال تعليم

اساليب التفكير المبدع والخلق

وسيندهش المرء حين تصفح

مواقع تلك المؤسسات على

شبكة الانترنت، وما يحز في

النفس اننا مازلنا نراوح في

اصلاح مؤسساتنا في مستواها

الأول، وعيننا باصلاح الشكل

واهملنا المحتوى في الوقت الذي

تؤكد فيه الحقيقة العلمية ان

اصلاح المحتوى او تغيير

المحتوى سيفضي بالحتم الى

تبدل الشكل الذي هو لا اكثر

من تنظيم عناصر المحتوى.

هناك مؤسسات للتفكير الناقد

والابداعي والعلمي والقدرة

على الاتصال ومعالجة

المعلومات واستخدام الخيال

الذي يظن البعض انه شطحات

لا تنفع الا للشعراء والفنانين،

.. فهل نستقل تدريجياً من

اصلاح مؤسسات التفكير في

مستواها التقليدي الى المستوى

المتقدم ، ام نقفز لننشئ

مؤسسات التفكير في مستواها

والديمقراطية.